المطلب الخامس عشر
المنادى المعرب (نداء النَّكرة غير المقصودة والشَّبيه بالمضاف)

١ – ورود هذه الصيغة:

جاء ذلك في آية واحدة محتملة لهما ولغيرهما:

وهي من (سورة يس) [الآية:٣٠].

٢ – معنى: (التحسر) وما يتعلق بالإعراب:

أما معنى التَّحسر في هذه الآية فهو واضح، وما له صلة بالتَّحسر قد سبق بيانه.

وأمَّا يتعلَّق بها من الإعراب فيما له صلة هنا بالنَّكرة غير المقصودة والشَّبيه بالمضاف واحتمالها لغيرهما فبيانه على النَّحو التَّالي:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس:٣٠]. قال الفرَّاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معناه: "فيا لها حسرة"[(١)].

(١) معاني القرآن، للفرَّاء (٣٧٥/٢). وذلك لأنَّ الحسرة لا تنادى، وإنما ينادى الأشخاص؛ لأنَّ فائدته التَّنبيه، ولكن المعنى على التَّعجب. انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٢٨٤/٤). وانظر ما أورده كلٌّ من السُّيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الإتقان) (١٠٧/٢)، والزَّركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (البرهان) (٣٥٣/٣)، وابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (لسان العرب)، مادَّة: (حسر)، والقرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (تفسيره) (٢٢/١٥– ٢٣). وقد فصَّل ما يتعلَّق بهذا المعنى الأزهريُّ في (تهذيب اللُّغة)، مادَّة: (حسر) (١٦٨/٢–١٦٩).

وقال أبو إسحق الزَّجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ هذا أصعب مسألة في القرآن، إذا قال القائل: ما الفائدة في مناداة الحسرة، والحسرة ممَّا لا يجيب؟ قال: والفائدة في مناداتها كالفائدة في مناداة ما يعقل؛ لأنَّ النِّداء باب تنبيه، إذا قلت: يا زيد، فإن لم تكن دعوته لتخاطبه بغير النِّداء فلا معنى للكلام، وإنما تقول: (يا زيد) لتنبهه بالنِّداء، ثمَّ تقول: فعلت كذا، ألا ترى أنَّك إذا قلت لمن هو مقبل عليك: (يا زيد ما أحسن ما صنعت؟!) فهو أوكد من أن تقول له: (ما أحسن ما صنعت؟!) بغيرِ نداءٍ، وكذلك إذا قلت للمخاطَب: (أنا أعجب ممَّا فعلت) فقد أفدته أنَّك متعجِّب، ولو قلت: (واعجباه ممَّا فعلت!) و(يا عجباه أن تفعل كذا !) كان دعاؤك العجب أبلغ في الفائدة. والمعنى: (يا عجبًا أقبل فإنَّه من أوقاتك)، وإنما النِّداء تنبيه للمتعجَّب منه لا للعجب، والحسرة أشدُّ النَّدم حتَّى يبقى النَّادم كالحسير من الدَّواب الذي لا منفعة فيه. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر:٨]، حسرات، أي: حسرةً وتحسُّرًا..."[(١)].

وفي (الفريد): "الجمهور على تنوين ﴿حَسْرَةً﴾، وفيه وجهان:

أحدُهما: منادى مشابه للمضاف من أجل طوله، و﴿عَلَى﴾ من صلته[(٢)]، كقولك: (يا خيرًا من زيد)، والمعنى: (يا حسرة إن كنت ممَّن ينادى فهذا وقتك الذي حقُّك أن تحضري فيه)، وهو وقت استهزائهم بالرُّسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بشهادة قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

و**الثَّاني**: المنادى محذوف، أي: يا قوم أو يا هؤلاء، و﴿حَسْرَةً﴾ مصدر، أي: أتحسَّرُ حسرة، وعلى هذا ﴿عَلَى﴾ صلة هذا الفعل، ويجوز أن تكون صفة للحسرة

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/٢٨٤)، وانظر مادَّة: (حسر) في (لسان العرب) (٤/١٨٧). وقد فصَّل ما يتعلَّق بهذا المعنى الأزهريُّ في (تهذيب اللغة)، مادَّة: (حسر) (٢/١٦٨– ٦٩) وانظر: البرهان في علوم القرآن (٣/٣٥٣– ٣٥٤).

(٢) أي: تتعلَّق بحسرة؛ فلذلك نصبت.

فتكون من صلة محذوف، واختلف في تأويل هذا القول، فقيل: هو الله عَزَّوَجَلَّ. وقيل: هو حبيب النَّجار[1].

وقيل: الملائكة، وقيل: الهالكون.."[2].

ويقرأ في الشَّاذِّ: (يا حَسْرَةَ العِبَاد)، أي: يا تحسيرهم، فالمصدرُ مضافٌ إلى الفاعل، ويجوز أن يكون مضافًا إلى المفعول، أي: أتحسَّرُ على العباد[3].

أمَّا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤]، المنادى هنا ﴿أَسَفَى﴾ مضاف إلى (ياء المتكلِّم) المنقلبة ألفًا، وليس نكرة مقصودة، إذ لو كان كذلك لنون (أسفًا).

والحاصلُ أنَّ في هذا النِّداء وجهان:

---

(١) قال في (مروج الذَّهب) (٥٦/١): "حبيب النَّجار كان يسكن (أنطاكية) من أرض (الشَّام)، وكان بها ملك متجبِّرٌ يعبد التَّماثيل والصُّوَر، فسار إليه اثنان من تلامذة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فدعوَاه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فحبسهما وضربهما، فعززهما الله عَزَّوَجَلَّ بثالث، وقد تنوزع فيه، فذهب كثيرٌ من النَّاس إلى أنَّه (بطرس)، وهذا اسمه بالرُّوميَّة، واسمه بالعربيَّة (سمعان)، وبالسِّريانيَّة (شمعون)، وهو شمعون الصَّفاء، وذكر كثيرٌ من النَّاس وإليه ذهب سائرُ فرق النَّصرانيَّة أنَّ الثَّالث المعزَّز به هو (بولس)، وأنَّ الاثنين المتقدِّمين اللَّذين أودعا الحبس (توما) و(بطرس)، فكان لهم مع ذلك الملك خطبٌ عظيمٌ طويل فيما أظهروا من الإعجاز والأعاجيب والبراهين، من إبراء الأكمة والأبرص، وإحياء الميِّت، وحيلة (بولس) عليه بمداخلته إيَّاه وتلطُّفه له، واستنفاذ صاحبيه من الحبس، فجاء حبيب النَّجار فصدَّقهم، لما رأى من آيات الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ بذلك في كتابه بقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [يس:١٤]، إلى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس:٢٠]، وقتل (بولس) و(بطرس) بمدينة (روميَّة)، وصُلِبا منكَّسين، وكان لهما فيها خبرٌ طويل مع الملك، ومع (سيما) السَّاحر، ثمَّ جعلا بعد ذلك في خزانةٍ من البلور، وذلك بعد ظهور دين النَّصرانيَّة، وحرمهما في كنيسة هناك.."

(٢) الفريد (١٠٦/٤)، وكذا في (التِّبيان) (٢٠٢/٢).

(٣) التِّبيان (٢٠٢/٢)، وهي قراءة أبي وابن عباس وعلي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. انظر: تفسير الطَّبري (٢/٢٣)، تفسير القرطبي (٢٣/١٥)، البرهان (٣٥٣/٣)، الدُّر المنثور (٥٤/٧)، معاني القرآن الكريم، للنَّحاس (٤٨٩/٥)، المحرر الوجيز (٤٥٢/٤)، روح المعاني (٣/٢٣)، البحر المحيط (٣٣٢/٧)، الفريد (١٠٦/٤)، المحتسب (٢٠٨/٢)، كتاب المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود السِّجستاني (ص:١٩٣)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢٨٤/٤)، السمعاني (٣٧٥/٤)، البيضاوي (٤/ ٢٦٧)، فتح القدير (٤٢٢/٤).

أوَّلهما: أنَّه منادى شبيه بالمضاف؛ ولذلك نصب، وإنما كان شبيهًا بالمضاف؛ لأنَّه اتَّصل به شيءٌ من تمام معناه، وهو ﴿عَلَى الْعِبَادِ﴾. أو يقال: إنَّه منادى نكرة مقصودة كأنما المنادَى حسرة معيَّنة، وإنما نصبت؛ لأنها وصفت بالجارِّ والمجرور، والمنادَى النَّكرة المقصودة إذا وصفت نصبت.

والوجه الثَّاني: أنَّ المنادى محذوف و(حسرة) مصدر، أي: أتحسَّرُ حسرةً. وقد اختلف المفسِّرون في المتحسِّر، ولا داعي للاختلاف فالحسرة جديرة بهم، والمستهزئون بالرُّسل أحرياء بأن يتحسَّر عليهم المتحسِّرون، أو يتحسَّروا على أنفسهم. والنِّداء هنا مجازيٌّ، أي: (يا حسرة احضري فهذا أوانك).